

ينابيع لا تنضب

إن صناعة التأثير وهندسة الحياة ، والتي فيها عز الدنيا والآخرة، لا يمكن أن تكون ولن تكون إلا من خلال انطلاقها من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فهما ينبوعا التأثير، وهما المصدران اللذان وجب على الأمة الأخذ بهما والعمل بكل ما ورد فيهما، قال تعالى: " وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم تُرحمون".

فالقُرآن دستور هذه الأمة، وملاذها في كل شيء، وموجهها في كل مناحي الحياة، وفي هذا يقول الله تعالى: " إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً".

والله تعالى أنزل كتابه خالياً من أي نقص، ومنزهاً عن كل عيب، وكاملاً في كل شيء، وكيف لا يكون ذلك والله تعالى يقول: " الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً".

ولقد تعهد الله تعالى بحفظ كتابه إلى يوم الدين فقال: " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ". لقد كان العرب قبل الإسلام يعيشون في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء، فجاء القرآن فأحدث ثورة في التفكير والتصوير، وثورة في الوجدان والشعور، وثورة في العمل والسلوك، ذلك لأنهم فتحوا له عقولهم وقلوبهم، فكانت أجهزة الاستقبال عندهم سليمة مهياًة لحسن التلقي، وكان الإرسال على أفضل ما يكون.

يقول الله تعالى: " الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعراً منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يُضلل الله فما له من هادٍ".

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل نافعاً: من استعملت على أهل مكة؟ قال: ابن أبزى، فقال: ومن هو؟ قال: مولّي من مواليها، فقال عمر: استخلفت عليهم مولّي؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنه قارئ لكتاب الله، عالم بالفرائض، فقال عمر: أحسنت! سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول: " إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين". (رواه مسلم)

إنه القرآن الذي لو أنزل على جبل من الجبال لفهم ما فيه من وعد ووعد لأبصرته، على قوته وصلابته وضخامته، خاضعاً ذليلاً متشققاً من خشية الله تعالى، يقول الله: " لو أنزلنا هذا

القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم
يتفكرون".

وصدق القائل إذ يقول:

سمعتك يا قرآن والليل واجم سریت تهر الكون سبحان من أسرى

لقد صنع القرآن العجائب في البشر، كيف لا وهو معجزة الله الخالدة، ولذا تغلغت كلماته
وآياته في نفوس المؤمنين والكافرين وفي أفئدة الطائعين والعصاة، فأثرت أيما تأثير، وأحدثت تغييراً
فذاً في حياة الأفراد والأمم.

يقول الله تعالى: "وقرءانا فرقناه لتقرأه على الناس على مكثٍ ونزلناه تنزيلاً. قل آمنوا به أو
لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يُتلى عليهم يخرون للأذقان سُجّداً. ويقولون سبحان
ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً. ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً".

وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يتهجّد في الليل ويقرأ سورة الطور، فلما بلغ قوله
تعالى: " إن عذاب ربك لواقع. ما له من دافع"، قال: قسم ورب الكعبة حق، ثم رجع إلى منزله
فمرض شهراً يعودُه الناس لا يدرون ما مرضه".

وفي أغسطس عام ٢٠٠٢ ذكرت صحيفة " كريستيان ساينس مونيتور" أن جامعة نورث
كارولينا الأمريكية قد ألزمت (٣٥٠٠) من طلابها المستجدين بقراءة كتاب من تأليف مايكل
سيلز بعنوان: " التقرب من القرآن !!"

وأضافت الصحيفة أن هذا الطلب قد أثار عدة تساؤلات على مستوى الطلبة وأعضاء هيئة
التدريس في الجامعة، بالإضافة إلى تناقض بين آراء أولياء أمور الطلبة وخوفهم من اعتناق أبنائهم
الإسلام، خاصة عقب أحداث ١١ سبتمبر / أيلول ٢٠٠١ في الولايات المتحدة.

وقد ردت الجامعة على الدعوى القضائية المرفوعة ضدها من قبل ثلاثة طلاب من ديانات
مختلفة ومنظمة مسيحية متشددة، بأنه من واجبها تنمية أذهان الطلبة حول الإسلام، وأن الوقت
مناسب لتصحيح النظرة العامة للإسلام والمسلمين خاصة بالنسبة للمقيمين في الولايات المتحدة
كإجراء للحد من التعصب الديني في الجامعة.

ومن ناحية أخرى، يرى بعض أعضاء هيئة التدريس البارزين في الجامعة ضرورة تعميم تلك
التجربة في سائر الجامعات الأمريكية، حيث سيصب ذلك في مصلحة البلاد!!

وإني لبيكيني سماع كلامه فكيف بعيني لو رأيت شخصه بدا

تلا ذكر مولاه فمن حينه وشوق قلوب العارفين تجردا
وقال وليم جيفورد بالكراف: متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن
نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن محمد وكتابه.
وقال الحاكم الفرنسي في الجزائر في كلمة ألقاها بمناسبة مرور مائة عام على احتلال فرنسا
للجزائر: يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم حتى نتصر
عليهم.

وهذه فرنسا، من أجل القضاء على القرآن في نفوس شباب الجزائر قامت بتجربة عملية،
وذلك بانتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات وأدخلتهن المدارس الفرنسية، وألبستهن الثياب
الفرنسية، فأصبحن كالفرنسيات تماماً.

وبعد أحد عشر عاماً من الجهود هيأت لمن حفلة تخرج رائعة، دُعي إليها الوزراء والمفكرون
والصحفيون، ولما ابتدأت الحفلة، فوجيء الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي
الجزائري، فثارت ثائرة الصحف الفرنسية وتساءلت: ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور
مائة وثمانية وعشرين عاماً؟!؟

فأجاب لاكوست، وزير المستعمرات الفرنسي: وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟
إن الأمة مدعوة إلى العودة إلى المنبع الأول للتأثير، والاعتزاز به، وصدق الله إذ يقول: " يا
أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين".

كما أنها مطالبة بالتمسك بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم لأنها المنبع الثاني للتأثير بعد
كتاب الله تعالى، كما ورد عن أبي نجيح العرْباض بن سارية رضي الله عنه قال: " وعظنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول
الله، كأنها موعظة مودّع فأوصنا، قال: " أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم
عبد حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين
المهتدين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة". (رواه أبو داود
والترمذي)

د. علي الحمادي

رئيس مركز التفكير الإبداعي

ورئيس مركز الدقيقة الواحدة

ورئيس مجلس إدارة قناة حياتنا الفضائية